اللغة العربية

في القرن الحادي والعشرين

المشكلات والحلول

د. أحمد عيد عبدالفتاح حسن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ

"الْمُشْكِلَاتُ وَالْحُلُولُ"

تأليف

د/ أحمد عيد عبد الفتاح حسن

أستاذ اللغويات القائم بتسيير أعمال القسم، ووكيل كلية اللغة العربية بالقاهرة للدراسات العليا والبحوث، جامعة الأزهر

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

تقديم

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَاتمِ المرسلينَ، وعلى آلِ بيتِهِ، ومَنْ سارَ على نهْجِهِ إلى يومِ الدِّينِ، وبَعْدُ...

فاللغةُ هِي رأسُ مالِ الكاتبِ والْمُتَكَلِّمِ، وصُورةُ أفْكَارِهما، ومَادَّةُ مَقالِهما، وكنزُ إنْفَاقِهِما، ولا رَيْبَ أنَّ مَعْرِفَةَ قَوَاعِدِ النَّحْو مَعْرِفَةً دَقِيقَةً تَضْمَنُ اسْتِقَامَتَها، وتُظْهِرُ بَهْجَتَها، وتُبْرِزُ بَلاغَتَها، وتَرْفَعُ رَايَةَ الْجَمالِ والْجَلالِ؛ فَتُلْقَى في نُفُوسِ الْمُتَلَقِّينَ أَخْذَةَ السِّحْرِ الْحَلالِ.

بتلك الْمَعْرِفَةِ الدَّقِيقَةِ سَلامَةُ ما يَجُولُ في فِكْرِ الْكَاتِبِ والْمُتَكَلِّمِ مَضْمُونَةٌ، وصِحَّةُ ما يَجْرِي على اللِّسَانِ مَكْفُولَةٌ، فيَكُون الكاتبُ والْمُتَكَلِّمُ كِلاهما في مأْمَنٍ مِن الإصَابَةِ بمَعَرَّةِ اللَّحْنِ.

واللغةُ العربيةُ لغةُ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، التي لا تَجُوزُ قِرَاءَتُهُ إلا بِهَا في الصَّلاةِ أو في غَيْرِهَا، ولِسَانُ أَفْصَحِ قُرِيشٍ وسَائرِ الْعَرَبِ، نَبِيِّنَا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، هاديًا الأُمَمِ، مُتَمِّمًا القِيَمِ، ضَابِطًا الشِّيَمِ؛ فاستمدَّت العربيةُ عالميتَها الراسخةَ من عالمية رسالة الإسلامِ الخالد ونبيِّه الخاتم الماجد، وبذا أَصْبَحَتْ في مَكَانةٍ عُلْيَا تَقْصُرُ عن بلوغِها اللُّغاتُ الأخرى.

وفي القَرْنِ الحَادِي والعِشْرِينَ تُوجَدُ مُشْكِلاتٌ واقِعِيَّةٌ مِن حَيْثُ الاسْتِعْمَالُ والدِّرَاسَةُ والْبَحْثُ، لا تَلِيقُ بِمَنْزِلَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيةِ الْعَالِيَةِ بَيْنَ اللُّغَاتِ، انْبَعَثَتْ تلك الْمُشْكِلاتُ من ضَعْفِ أبناءِ الْعَرَبِ في جميعِ مستوياتِ الحياةِ علمًا وتقدُّمًا وسِيَاسَةً وثقافةً وقُوَّةً وعزيمةً ونَخْوَةً وأخذًا بأسبابِ النهوضِ... وانْطَلَقَتْ من تَبَعْثُرِهِم في كلّ مكانٍ كياناتٍ مختلفةَ المشاربِ، متعددةَ الطوائفِ، تَفْصِلُ بينها حَوَاجِزُ موضوعةٌ، وعراقيلُ مصنوعةٌ، يُقَلِّدُ أكثرُها- غالبًا- كلَّ مَنْ هبَّ ودبَّ في الشَّرْقِ أو الْغَرْب، ويعتقدُ كلُّ كيانٍ منها أنَّهُ على طريق الجَادَّة، وأنَّ غيرَهُ في طريق النَّادَّة، مع أنَّ معبودَهم واحدٌ، وقرآنَهم واحدٌ،

ونبـــيَّهم واحـــدٌ، ولسَـــانَ قِـــرَاءَةِ الْقُـــرْآنِ واحـــدٌ، قَـــالَ ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف: ٢]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف: ٣].

وقد كانوا من قبلُ أمةً واحدةً عزيزةً متماسكةً مرهوبةَ الجانبِ، تَعْتَصِـمُ بحبـلِ اللَّهِ تعـالى، مُتَّبِعَـةً نبيَّهـا الهاديَ ﷺ، لم تتفَرَّق شِيَعًا وأحزابًا وطوائفَ يُكَفِّرُ بَعْضُها بعضًا، أو يَلْعَـنُ بَعْضُـهَا بَعْضًـا، أو يَحْتَقِـرُ بعضُها عبادةَ بعضٍ- وآفَةُ الْعِبَادَةِ الْعُجْبُ- ولَم تَنْتَشِرْ على ألْسِنَتِها أَلْفَاظٌ لُغَوِيَّةٌ حَذَّرَها منهـا رَسُـولُ الإنْسَانِيَّة، كـ: التَّكْفِير، والسِّب، والتَّفْسِيق، والتَّضْلِيل، والتَّحْقِير، والتَّجْهِيـل... انتِشَـارَها في زمانِنـا على ألْسِنَةِ طَوائِفِهِ وأحزابِهِ واتِّجَاهاتِهِ، وكأنَّ كُلَّ اتِّجَاهٍ مِنْهُم قد عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أنَّهُ من الْمُتَّقِينَ الَّـذِينَ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ منهم أعْمَالَهُم دُونَ غَيْرِهِ، وهيهات هيهات لما يَتَخَيَّلُون؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ولا يَعْلَمُ أحدٌ في زَمَانِنا: أَهُوَ مِنْهُمْ أَم لا؟

وما كانَ أَبْنَاءُ الْعَرَبِ يَتَغَرَّبُونَ بَحْثًا عن حَضَارةٍ مَزْعُومَةٍ، أو اجْتِلابًا لأخْلاقٍ مَذْمُومَةٍ، أو نَشْدًا لثَقَافـةٍ مَوْهُومَةٍ، وما كانُوا يَتَشَرَّقُونَ، بل كان تَفَرُّقُ الصَّالِحينَ الْمُصْـلِحِينَ مِـنْهُم مَحْمُـودًا مَرْغُوبًـا في جميـعِ الجِهَاتِ الَّتِي وَلَجُوهـا؛ لنَشْـرِ الْعِلْـمِ والطُّمَأْنِينَـةِ وروحِ السَّـلامِ، وتعريـفِ الأَنَـامِ تَعـالِيمَ الإِسْـلامِ، وإرْشَادِهم إلى نُورِ شَرِيعَتِهِ السَّمْحَاء، الَّتِي يَظُنُّ بعضُ أبْنَاءِ عَصْرِنَا ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ أنَّها عَرْجَاء.

وسأتناولُ في الصَّفَحاتِ القادِمَةِ مُشْكِلاتِ اللُّغَةِ العربيَّةِ في القرنِ الحادي والعشـرين أوَّلًا، ثُـمَّ أُتبِعُهـا الْحُلُولَ الَّتِي رَأَيْتُها مناسِبَةً لَها، واللَّهُ ﷻ الْمُوَفِّقُ والهادي، وهُو حَسْبِي.

*****

***

*

أوَّلاً- الْمُشْكِلاتُ

يَطِيبُ لي تصنيفُ تلك المشكلاتِ اللُّغَويَّةِ الواقعيَّةِ إلى ثَلاثةِ مُسْتَوياتٍ من ضَعْفِ أبناءِ عَصْرِنَا البَالْغِ، ولا أستطيعُ أن أَبُثَّك ما بي من حَسَراتٍ على قَوْمِي الذين كانوا فُصَحاءَ، بُلَغاءَ، أَقْوياءَ، رُحماءَ فيما بينهم، سُمَّ الأعداءِ، مَنْصُورِينَ بالرُّعْبِ قبل أَنْ تَتَلاقى الأجْسَامُ، وتَتَرَامَى السِّهَامُ، وتَقْتَرِبَ الصُّفُوفُ، وتَتَضَاربَ السُّيُوفُ في ميدانِ البُطُولةِ الصَّادقةِ، ومَوْطِنِ الرُّجولةِ السَّاحِقَة.

(١) ضَعْفٌ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَامِّ :

الواقعُ اللغويُّ في عالَمِنا العربيّ المعاصِرِ على وَجْهِ الْعُمومِ يُمَثِّل مُشكلةً حَقِيقِيَّةً أيَّ مُشْكِلَةٍ، تَعِيشُ فيها اللُّغَةُ الشَّرِيفَةُ الْعَزِيزَة الْقَوِيَّةُ الْحَكِيمَةُ الشُّجَاعَةُ، هي مُشْكِلةُ أُمَّةٍ وَهَنَتْ بَعْدَ قُوَّةٍ، واستذلَّت بعد عِزَّةٍ، مُتَنَكِّبَةً سبيلَ عِزَّتِها ومصدرَ هِدَايَتِها إلى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وذلك بابْتِعَادِهَا عن نُور الْوَحْيَيْنِ الْهَادِيَيْنِ: الكتاب والسنة، اللذين هما سَبَبَا نَهْضَتِها، وازْدِهارِ حضارتِها، ورِفْعَةِ شَأْنِها، وعِصْمَتِها من الضَّلالِ إنْ تَمَسَّكَتْ بِهِمَا.

فلَيْسَت الْمُشْكِلةُ الْمَوْجُودَةُ في واقِعِنا مُشْكِلَةَ لُغَةٍ عَجَزَتْ عن الوَفَاءِ بحاجةِ النَّاطِقِينَ بها من قَرِيبٍ أو بَعِيدٍ، أو تأخَّرَتْ قَلِيلًا عن تلبيةِ أغْرَاضِهم البَيانِيَّة، أو قَصُرَتْ عن التَّعْبِيرِ عَن انْفِعَالاتِهِم النَّفْسِيَّةِ فرحًا أو حزنًا، تعجُّبًا، أو مَدْحًا أو ذمًّا، أو تفضيلًا، أو نُدْبَةً...

ما وُجِدتْ مشْكِلةٌ في الْمُفْرَدَاتِ اللُّغويةِ، ولا في الأسَالِيبِ البيانيَّةِ، ولا في مُواكَبَةِ الْمُسْتَجِدَّاتِ، ولَن تُوجَدَ أبَدًا في لُغَةِ الإعْجَازِ الصَّالِحَةِ لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ.

فما ضَعُفَتِ اللغةُ العربيةُ يَوْمًا ولَنْ تَضْعُفَ، وما عَجَزَتْ عن الوَفاءِ بحاجةِ أهلِها ولَنْ تَعْجِزَ، ولكنَّكَ إن بَحَثْتَ عن محَلِّ الضَّعْفِ فالضَّعْفُ في أبْنَائِها الآبِقِينَ عَن جَمَالِ التَّعْبِيرِ بِها، وإنْ طَلَبْتَ مَوْطِنَ العَجْزِ فالْعَجْزُ في غالبِ الْمُنتَسِبِينَ إليها الَّذِين لا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَ مَقَالِيدِ خَزَائِنها؛ فلا يُمْكِنُهم

اسْتِخْراجُ مَحَاسِنِها ولا تَعْلِيقُ فرائِدِها، وإنْ رُمْتَ تَحْدِيدَ موضِعِ القُصُورِ فالقُصُورُ فِي أَلْسِنَةِ نَاطِقِينَ اشْتَرَوُا العَامِّيَّةَ بالعربيَّةِ، واسْتَبْدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؛ فَفَقَدُوا آثارَ العَرَبيَّةِ فِي المُلْتَزِمِينَ بها، فَقَدُوا شَجَاعَتَهَا وعِزَّتَها ومُرُوءتَها، وجَمَالَ النُّطْقِ بِها، وهَيْبَةَ مَجْلِسِهَا، وقُوَّةَ تَأْثِيرِهَا، وبُلُوغَ الْهَدَفِ بضِيَائِهَا، فَضَلَّ بَعْضُهُم عَن الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وأَضَلَّ.

وأَعُود فَأُكَرِّرُ – لَعَلَّ فِي التَّكْرَارِ عِظَةً واعْتِبَارًا، وأَوْبَةً واسْتِذْكَارًا- وأَقُول: إنَّ هَذِهِ الْمُشْكِلَةَ الْقَائِمَةَ لَيْسَتْ من جِهَةِ صاحِبَةِ الْجَلالَةِ ورَبَّةِ الْبَيَانِ ولُغَةِ الإِعْجَازِ فِي مُفرداتٍ وتَرَاكِيبَ، أو فِي ألفاظٍ وأَسَاليبَ، بَل هي مُشْكِلَةُ ناطِقِينَ غَيْرِ مُوَفَّقِينَ للْخَيرِ، انحرفت أَلْسِنَتُهُم عن قواعدِ لغتِهم الشَّرِيفةِ فِي جَمِيعِ مَجَالاتِ الحياة.

إنَّها مُشكلةُ نَاطِقِينَ نَسُوا أَنَّهُم أَصْحَابُ رسالةٍ سَامِيَةٍ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاء؛ فضَعُفَت هُوِيَّتُهم ضَعْفًا جَلِيًّا فِي شتَّى الْمُجْتَمَعاتِ الْعَرَبِيَّة. والنَّظَرُ إلى أَسْمَاء كَثِيرٍ من الشَّرِكاتِ والْمَحلَّات التِّجَارِيَّة والْمَصَانِع ونحوها فِي البِلادِ العَرَبِيَّة يُوقِفُك عَلَى تلك الْمَأْسَاة، فبَعْضُها بلُغَاتٍ أَجْنَبِيَّة، وبَعْضُها بلَهَجاتٍ عَامِّيَّة...

إنَّها مُشكلةُ نَاطِقِينَ غَيرِ جادِّينَ اتَّخَذُوا مِن الالْتِزَامِ بِلُغَتِهِم الشَّرِيفَةِ فِي الْحَادَثَاتِ مَادَّةً للسُّخْرِيَةِ البَغِيضَةِ فِي أَعْمَالِهِم الْفَنِّيَّةِ الرَّخِيصَةِ...

وإذا تَرَكْنَا هؤلاءِ وهؤلاءِ وهؤلاءِ إلى بَعْضِ الْمُنْتَسِبِينَ إلي العَرَبِيَّةِ دِراسَةً وتَدْرِيسًا فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ قَبْل الْجَامِعِيّ أَلْفَيْنَا كَثِيرِينَ منهم لم يُجِيدُوا دِرَاسَتَها، ولم يُحْسِنُوا التَّعامُلَ مَعَها؛ فلم يُوَفَّقُوا للقِيَامِ بحَقِّهَا مُمَارسَةً حَسْناءَ وتجديدًا فِي الأَدَاء، فما فَهِمُوا تُراثًا، ولا كانوا نِبْرَاسًا، بل هم عَجَزَةٌ عن فَهمٍ وإفهامٍ، وإبْدَاعٍ وإمْتَاعٍ، وقُد قُدِّرَ لنا أن نَجْلِسَ أَمَامَ أَحَدِهِم ونحن طُلابٌ، وما كان يَسْتَطِيع القِرَاءةَ الصَّحِيحةَ ناظِرًا فِي الكِتَاب.

وماذا تَنْتظِرُ من هؤلاءِ الضُّعَفَاءِ إلا الإِسَاءَةَ البَالِغَةَ إلى لُغَتِهم الشَّرِيفةِ وتُرَاثِها الثَّريِّ أَمامَ دَارِسِيها وطالِبِيها؟ فَتَسْمَعُ مَنْ فُرِضَ عليهم التَّلَقِّي عن واحِدٍ من هؤلاءِ في مَدْرَسَةٍ أو مَعْهَدٍ يَحْكُمُونَ عَلَى قَواعدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بالْجُمُودِ، ويَرمُونَ كُتُبَها بالصُّعُوبَةِ، ولا يَعْرِفُونَ عَن مُعَلِّمِيها إلَّا جَفَاءَ الطَّبْعِ، ويَقُولُونَ عَنْ نُصُوصِها: وَعْرَةٌ بَيِّنَةُ الْوُعُورة، فبِئْسَ ما فَعَلُوا! وساءَ ما يَحْكُمُونَ!

وفِئَةٌ من الْمُنْتَسِبِينَ إليها راجِحَةُ العَقْلِ، رائِعَةُ الفَهْمِ، صَادِقَةُ القَوْلِ، مُوَفَّقَةُ السَّعْي، تَعْرِفُ مَنْزِلَةَ العربيةِ، وتُقَدّر تراثَها الثَّريّ الذي لا يخلق على كثرة الرَّدّ، فتُحِبُّها وتُحِبُّهُ، وتُحَبِّبُهُما إلى دَارِسِيهما وطالِبِيهِما؛ وبهذه الْفِئَةِ نَبَغَ في العربيَّةِ مَنْ نَبَغَ، وللأسَفِ هَؤلاءِ قِلَّةٌ.

وتَأْسَفُ كلَّ الأَسَفِ عَلَى مَا آلَ إلَيْهِ أَمْرُ أُمَّتِك الْعَرَبِيَّة تِجَاهَ لُغَتِهَا حِينَ تَجِدُ في بلادِ الْعَرَبِ من يُحارِبُونَها مُحارَبَةً شديدةً في سُوقِ العملِ، فيُبَالِغُونَ في أهميَّةِ اللغةِ الأجنبيةِ واشتراطِ إجادتِها، سواء أكانت ضَرُورِيَّةً للعملِ أم لم تَكُنْ.

وطالع إن شِئْتَ إعلانات التوظيفِ في التخصصاتِ اللغوية الخالصة في جامِعَات العالَم العربيّ، تقف على ما فيها من إساءةٍ بالغةٍ صادرةٍ من أصْحَابِها إلى أنفُسِهِم قبل لُغَتِهِم، وعلى ما فيها من تَقْصِيرٍ شَدِيدٍ في حقِّ أبناءِ جِنْسِهِم، ولا بُدَّ أنَّكَ ستستشعر الخزي والعار، وتتساءل: هل يستوي العربيُّ الخالصُ اللسانِ في تعليم العربيَّةِ وغيرُ الخالِص؟ وما فائدةُ إجادةِ اللغة الأجنبية في تدريس النحو والصرف والعروض والبلاغة ونحوها؟

لقد حَالَ ذلك التَّصَرُّفُ المَشِينُ بين المواطنِ العربيِّ وبين الحصولِ على لُقْمَةِ العَيْشِ في بلاده، وفَتَحَ البابَ على مصراعيه أمامَ الأجانبِ من كلِّ مكانٍ، الذين حَلُّوا محلَّ المواطنين الأصليين، وهذا بلا شَكٍّ يُؤَثِّرُ تأثيرًا سلبيًّا بيِّنًا على مَصْلَحةِ الوطنِ، وعلى ملامِحِ الْهُوِيَّة، وما أعْظَمَهَا من بَلِيَّة!

وإنَّ الأُمَّةَ التي تَضْعُفُ في جَمِيعِ جوانبِ الحياةِ: الدينيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة والسياسيّة، وتُقَصِّر في حقِّ لُغَتِها الْعاليةِ تقصيرًا شَائعًا تصْبحُ خانعةً تابعةً للآخرين الأقوياء، والصَّادِقُونَ من أبْنَاءِ الْعَرَبيَّةِ يَأْبَوْنَ ذلك الْخُنُوعَ كلَّ الإِبَاءِ، ويَنْفُرُونَ من تلك التَّبَعِيَّةِ كلَّ النُّفُورِ، فلا يرضون باللُّونيَّةِ ولغتُهم خيرُ اللُّغاتِ، وأصلَحُها للتعبير عن المعاني الجليلة بالألفاظ الجميلة، وما أجملَ ما انتهى إليه أبو الرَّيْحان الْبِيروني (ت٤٤٠هـ) في أمر اللغات التي كان يعرفها!

فقد انتهى إلى تفوُّقِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ على سائر ما كان يُتْقِنُهُ من لُغَاتٍ، منها: لُغَتُهُ الخُوَارَزْمِيَّة، التي رأى أنَّها لغةٌ لا تَصْلُحُ للعلم، وقرَّر أنَّ هجاءَهُ باللغةِ العربيةِ أحبُّ إليه من أن يُمْدَحَ باللغة الفارسية[1]، ولم يكن من أبناء الجنسِ العربيِّ.

وإنَّ واقعَ لُغَتِنا الشَّريفَةِ المؤسفَ في مجتمعاتنا العربيةِ المعاصرةِ على وَجْهِ الْعُمُومِ يجعلُ كلَّ نبيهٍ من أبْنَاءِ الْعَرَب ومن غَيْرِهم يَعْرِفُ قَدْرَها، ويَستشعرُ جَلالَها، ويُقَدِّر بيانَها، ويُدَرِّسُ في مَوَاطِنِها- يقولُ بلِسَانِ الحَالِ أو المقال:

لو نطقت العربيةُ بتقصير أبنائها في واجبِهم نحوها دراسةً وتدريسًا، واستعمالًا وتجديدًا، وتَيْسِيرًا في الْعَرْضِ، وتسهيلًا في الطَّرْحِ - لَهَجَتْ كثيرين منهم قَلَوْها وأحبُّوا غيرها، تَرَكُوها ولَهَجُوا بغيرها، ولَذَمَّتْ آخرين أكلوا على مائدَتِها، وشَبِعُوا مِن فائدَتِها، وما أحسنوا تقديمَها لطالبِيها، ولا رَدُّوا حَمْلَةَ بَاغِضِيها، ولو كان شَاعِرُ النِّيلِ الكبيرُ/ حافظ إبراهيم حيًّا، وتَكَلَّم على لِسَانِها مَرَّةً أُخْرَى لاخْتَارَ لأَبْنَائِهَا الْعَاقِّينَ من المعاني أشدَّها، ومن الألفاظ أقساها، ومن الصَّرَخَات أقواها، ومن العبارات أهجاها.

(١) ينظر: مقدمة كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني)، ص١٤.

(٢) ضَعْفٌ عَلَى الْمُسْتَوَى الْمُتَوَسِّطِ :

هذا الضَّعْفُ اللُّغَوِيُّ نُلْفِيهِ فِي بَعْضِ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ والتَّرْبَوِيَّةِ والْقَانُونِيَّةِ وغَيْرِهَا، كالتَّارِيخِ، والْجَغْرَافِيَا، والسِّيَاسَة، والإِعْلام، واللُّغَاتِ، تَبْدُو مظَاهِرُهُ جَلِيَّةً فِي بَنَاتِ أَلْسِنَتِهِم الَّتِي هِيَ ثَمَرَاتُ الْعُقُولِ وخَطَرَاتُ القُلُوب حِينَ يَتَكَلَّمُونَ، ويَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ فِيمَا يَسْطُرُونَ مِنْ أَعْمَالٍ عِلْمِيَّةٍ، مقَالاتٍ كانَت أو بُحُوثًا أو كُتُبًا مَنْشُورةً.

ذلكَ أَنَّ أهمَّ وَسَائِلِ فَهْمِ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ وأَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، واسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ مِنْهُمَا، وتَحْدِيدِ الْمَقاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ فِيهِمَا، واسْتِلْهَامِ الْمَنَاهِجِ التَّرْبَوِيَّةِ مِنْهُمَا، واسْتِخْرَاجِ الْقِيَمِ الْحَضَارِيَّة، وتَرْجَمَةِ مَعَانِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ والأَحَادِيثِ تَرْجَمَةً مُوَفَّقَةً- مَعْرِفَةُ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَجَالاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ مَعْرِفَةً تُؤْتِي ثِمَارَها الْمَرْجُوَّةَ، وتَسْتَخْرِجُ كُنُوزَهَا الْمَرْنُوَّةَ؛ ولذلكَ حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا من تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وتَحْلِيلِ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ من غَيْرِ عِلْمٍ بالْعَرَبِيَّة. قَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ (ت١٠٤هـ): "لا يَحِلُّ لأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ"، وقال مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ (ت١٧٩هـ): "لا أُوتَى بِرَجُلٍ يُفَسِّرُ كِتَابَ اللَّهِ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ إِلا جَعَلْتُهُ نَكَالاً"[٢].

ويُؤكّد افْتِقارَ العُلُوم الشَّرْعِيَّةِ إلى معْرِفَةِ قَوَاعِدِ العَرَبِيَّةِ قَوْلُ أبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبريّ: سَمِعْتُ أبا عُمَرَ الجَرْميَّ (ت٢٢٥هـ) يقول: أنا مذ ثلاثون أُفتِي النـاسَ في الفقـه مـن كتـاب سـيبويه. فحدَّثت به محمد بن يزيدَ (ت٢٨٥هـ) على وجه التعجُّب والإنكار فقال: أنـا سَـمِعْتُ الجرمـيَّ يقـول هذا، وأومأ بيديه إلى أذنيه. وذلك أنَّ أبا عُمَرَ الجرميَّ كان صاحِبَ حديثٍ، فلمَّـا عَلِـمَ كتـابَ سـيبويه تَفَقّهَ في الحديث؛ إذ كان كتابُ سيبويه يُتعلَّم منه النَّظَر والتَّفتيش[٣].

---

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي١/ ٢٩٢.

(٣) ينظر: مقدمة كتاب سيبويه١/ ٥، ٦.

فمَنْ أرادَ أن يَفْهَمَ أَسَالِيبَ القرآنِ من أهل الإسْلامِ، ويَفْقَهَ أحاديثَ خيْرِ الأنام، وأن يَقِفَ على مَرَامِي الوحْيَيْنِ العَزِيزَيْنِ، ويَسْتَلْهِمَ مقاصِدَهُما فالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إلَى ذلك مَعْرِفَةُ قَوَاعِدِ لسَان العربِ؛ لأنَّ اللَّه ﷻ أنزلَ القرآن الكريم به، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤]، والنبي ﷺ أفْصَحُ العربِ، وقد صَرَّحَ بذلك، فلا يَفْهَم عنه إلا من عَرَفَ قَوَاعِدَ لسَانِهِ، وضَوَابِطَ خِطَابِهِ، وأساليبَ بَيَانِهِ.

ويَطِيبُ لي هنا أن أذْكُرَ ما حكاه أبو بكر بن مجاهد المقرئ (ت٣٢٤هـ) حين قال: كنتُ عند أبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ)، فقال: يا أبا بكر، اشتغل أهلُ القرآنِ بالقرآنِ ففازوا، واشتغل أصحابُ الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أهلُ الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فلَيْتَ شِعْرِي ماذا يكونُ حالي في الآخرة؟ فانصرفتُ من عنده تلك الليلة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: أقرِىء أبا العباس عني السلام، وقل له: (أنت صاحب العلم المستطيل)، والمراد: أنَّ الكلام به يَكْمُلُ، والخطاب به يَجْمُلُ، وأنَّ جميعَ العلومِ مفتقرةٌ إليه[٥].

وهَيْهَاتَ أنْ يَنْبُغَ مُفَسِّرٌ أو مُحَدِّثٌ أو فقيهٌ... لَمْ يَبْدَأْ حَيَاتَهُ الْعِلْمِيَّةِ بِدِرَاسَةِ بَعْضِ كُتُبِ العَرَبِيَّةِ دِراسةً واعِيَةً، ولم يُلِمّ بقَواعِدها وأَسَالِيبِها وفُنُونِها في مَجَالاتِهَا الْمُتَنَوِّعَة إلْمَامًا. وسَأَذْكُرُ لك مِثَالَيْنِ مِن وَاقِعِ تُراثِنَا الثَّرِيّ يُؤَكِّدَانِ كُلَّ التَّأْكِيدِ ما سَبَقَ ذِكْرُهُ:

١ - رُوي أنَّ إمامَ الكوفةِ في العربية والقراءة علي بن حمزة الكسائيّ (ت١٨٩هـ) والفقيهَ أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت١٨٢هـ)، اجتمعا عند الخليفة هارون الرشيد، وكان أبو يوسف يُزري على الكسائيّ النحوَ، فقال له الكسائيُّ: ما يقول القاضي في رجلين اتُّهِما بقتل عبدٍ لرجلٍ، فقدمهما إلى قاضٍ، فادعى عليهما قَتْل عبده. فسأل القاضي أحدهما، فقال: (أنا قاتلُ عَبْدِهِ)، وسأل الآخر، فقال: (أنا قاتلٌ عَبْدَهُ)، أيُّهما القاتل؟

---

(٤) سورة يوسف – الآية ٢.

(٥) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء١٧٥، ١٧٦، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي١/ ١٧٨، ١٧٩.

فقال أبو يوسف: جميعًا.

فقال الكسائيّ: بئس ما قلتَ! أنْعِم النظرَ. فقال: الذي قال: (أنا قاتلٌ عبدَهُ). فقال: وهذا أيضًا خطأٌ.

فقال الرشيدُ: أما علمْتَ أنَّ الذي قال: (أنا قاتلٌ عبدَهُ) قد وعد بقتله ولم يقتله، وأنَّ من قال: (أنا قاتلُ عبدِهِ) قد أقرَّ بالقتل؟ فانتبه أبو يوسف الفقيهُ، فقال: قليلٌ من العلم كثيرٌ، وأعْمَلَ نفسه حتى علم من النحو ما كان يتحذر به من اللحن[٦].

والدارس المتشبع بعلوم العربية يعرف أنَّ من قواعدها المقررة أنَّ اسم الفاعل الذي يعمل النصب فيما بعده هو الذي يُراد به زمن الحال أو الاستقبال، وأنَّ اسم الفاعل الذي لا يعمل النصب فيما بعده هو الذي يُراد به الزمن الماضي. ولمعرفة الإمامِ الكسائيّ ذلك، وامتلاكه ناصية علم العربية، صَحَّ نَظَرُهُ ونَالَ التَّأْييدَ، وراق هارونَ الرشيدَ.

٢- سَأَلَ سائلٌ أبا يوسف الفقيه عن رجل حَلَفَ أنَّ امرأتَهُ طالقٌ أَنْ دَخَلَتِ الدارَ، وآخر حَلَفَ أنَّ امرأتَهُ طالقٌ إِنْ دَخَلَتِ الدارَ. فقال: أيتهما دخلت فقد حنث الحالف.

وكان الكسائي النَّحويّ حاضرًا فقال: أَوَ لَيْسَ الخرسُ أحسنَ من هذا الجواب؟ وسمع أبو يوسف مقالته، فشكاه إلى هارون الرشيد، فقال: صدق الكسائيُّ، الخرسُ أحسنُ من اللحنِ. أَمَا علمتَ أَنَّ من خَفَضَ فقال: (إِنْ دَخَلَت) قد حَلَفَ على شيءٍ يكون في المستقبل؟ فمتى دخلت امْرَأَتُهُ الدَّارَ حَنِثَ، والآخر إنَّما حَلَفَ يَمِينَهُ بفعلٍ ماضٍ، فإن كانت امْرَأَتُهُ دخلت الدَّارَ قبل حلفه عليها فقد طَلُقَت، وإن لم تكن دخلت لم تطلق[٧].

---

(٦) الإبانة في اللغة العربية١/ ٢٠.

(٧) ينظر: المرجع السابق١/ ٢٠.

فأدواتُ الشَّرْطِ في أُسْلُوب الشَّرْطِ تفيد تعليق حصول مضمون الجواب على حصول مضمون الشرط في المستقبل، وهذا ما أفادته (إِنْ)؛ فلا يقع الطلاقُ حتّى تدخل الدار؛ لأنّ دخول الطلاق في الوجود متوقفٌ كلَّ التوقف على دخول غيره في الوجود، وهو دخولُ المرأةِ الدارَ.

و(أَن) المصدرية وما بعدها في القول الآخر في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المقدرة، والمعنى: امرأتُه طالقٌ لدخولِها الدارَ، فصار دخولُ المرأةِ الدارَ علّةَ طلاقها، لا شرطًا في وقوع طلاقها كما كان في (إِنْ) الشرطية. وقد خَفِيَ ذلك على أبي يوسف الفقيه، فَسَوَّى بين القولين في الحكم الفقهيّ، فمال عن الصواب، فلامه الكسائيّ النحويّ، وأيَّدَ الرشيدُ الكسائيَّ.

وقد عَرَفَ الإمامُ الشافعيُّ – رحمه اللَّه تعالى- في علماء اللغة والنحو قوةَ التأمل، وسرعةَ الفهم، وجودةَ استنباطِ الأحكام، وحُسْن استخراجِ القواعدِ الشَّرعية من النصوصِ، فَعَبَّرَ عن ذلك كُلِّهِ بقوله: «أَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ جِنٌّ الإِنْسِ، يُبْصِرُونَ مَا لا يُبْصِرُ غَيْرُهُمْ»[٨].

ولَعَلَّنا الآن عَرَفْنَا إجابةَ هذا السؤالِ الذي قد يُثَار في نَفْسِ الْمُتَلَقِّي: لماذا بَرَعَ الشيخُ/ محمد متولي الشعراوي – رحمه اللَّه- وأجادَ في تفسير القرآن الكريم إجادةً محمودةً؟

فما هِيَ إلا أنَّهُ امْتَلَكَ الأَدَوَاتِ اللازمةَ لفَهْمِ النُّصُوصِ الشَّرْعيَّةِ والْعَرَبِيَّةِ، ودقَّةِ التَّعَامُلِ معها، وسُرْعَةِ الإدراكِ، وحُسْنِ الاسْتِنْباطِ منْهَا، وجَوْدَةِ الإفْصَاحِ عَنْهَا، مَشْمُولًا بتَوْفِيقِ اللَّهِ تعَالى وفَضْلِهِ الذي يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

أَلَا إنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبيَّةَ لُغَةٌ هَادِيَةٌ، تَهْدِي أَبْنَاءَهَا إلى الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، عَاصِمَةٌ تَعْصِمُ مُحِبِّيها مِنْ الضَّلالِ الْمُبِيحِ لِكُلِّ مَا حَرُمَ، حامِيَةٌ لَهُم تَحْمِيهِم مِن التَّطَرُّفِ الدِّينِيِّ الْقَبِيحِ فِي كُلِّ مَا جَرَمَ، الَّذِي نُعانِي خَطَرَهُ فِي عَصْرِنَا أَشَدَّ الْمُعَاناةِ فِي دَاخِلِ الْبِلادِ وخَارِجِها، فَعَضَّ – أَيُّها المسلمُ- عَلَى لُغَتِكَ الْفُصْحَى

(٨) آداب الشافعي ومناقبه لأبي محمد الرازي١١٢.

بالنَّوَاجِذِ، وتَعَرَّفْ قَوَاعِدَهَا ونِظَامَ تَراكِيبِها وبِنَاءَ أَسالِيبِها، ودلالاتِ التَّراكيبِ فيها وخَصَائِصَها وطرقَ التَّعبيرِ عن المَعْنَى الْوَاحِدِ فيها- تَسْلَمْ من سُوءِ الْفَهْمِ وتَجْتَنِبْ سَبِيلَ الْوَهْمِ، واضْرَعْ إلى رَبِّكَ الْكَرِيمِ؛ فَمَا أَحْوَجَ صَدْرَكَ إلى الشَّرْحِ! ورَحِمَ اللَّهُ تعالى نَابِغَةَ الْعَرَبِيَّةِ أَبا الْفَتْحِ، فقد قَرَّرَ في (باب فيما يُؤْمِنُهُ علمُ العربيَّةِ من الاعتقاداتِ الدينيَّة) "أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ ضَلَّ من أَهْلِ الشَّرِيعَةِ عن القَصْدِ فيها، وحادَ عن الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى إليها- فإنَّما استهواه واستخفَّ حِلْمَهُ ضَعْفُهُ في هذه اللغةِ الكريمةِ الشريفةِ، التي خُوطِبَ الْكَافَّةُ بها... ولو كان لهم أُنْسٌ بهذه اللغةِ الشريفةِ أو تَصَرُّفٌ فيها، أو مزاولةٌ لها لحَمَتْهُم السَّعَادَةُ بها ما أَصَارَتْهُم الشَّقْوَةُ إليه بالبُعدِ عنها"[٩].

وأَقْبِلْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُوَفَّقُ إلى عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ إِقْبَالَ الْحَبِيبِ، وانْظُر أَيُّهَا الدَّارِسُ في تُراثِها الثَّريِّ نَظَرَ الْمُسْتَرْشِدِ الأَرِيبِ، واعْلَمْ أَيُّهَا الطَّالِبُ الْوَافِدُ أَنَّكَ عَرَبِيٌّ ما دُمْتَ مُتَكَلِّمًا باللُّغةِ الشَّرِيفَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ من تَكَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ فَهُو عَرَبِيٌّ، وإن لم يَكُنْ من أَبْنَاءِ الْجِنْسِ الْعَرَبِيِّ؛ لأَنَّ أَفْصَحَ الْعَرَبِ ﷺ قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الرَّبَ رَبٌّ وَاحِدٌ، وإنَّ الأَبَ أَبٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّ الدِّينَ دِينٌ وَاحِدٌ، وَلَيْسَتِ العَرَبِيَّةُ بِأَحَدِكُمْ مِنْ أَبٍ وَلا أُمٍّ، وإِنَّمَا هِيَ اللِّسَانُ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِالعَرَبِيَّةِ فَهُوَ عَرَبِيٌّ". وهَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَعْنَاه كُلَّ الصِّحَّةِ، وإن اعْتَرَاهُ في الإِسْنَادِ ما اعْتَرَاه.

(٣) ضَعْفٌ عَلَى الْمُسْتَوَى الْخَاصِّ:

وذلكَ الضَّعْفُ مُسْتَهْجَنٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ جُمْلَةً وتَفْصِيلًا؛ لِخُرُوجِهِ مِنْ مَصَادِرَ ما كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وبُرُوزِهِ فِي مَوَاطِنَ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَطُلَّ رَأْسُهُ مِنْهَا، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ الْعُقَلاءِ أَنْ يَظْهَرَ الدَّاءُ من مَحَلِّ الدَّواءِ، أو أَنْ يُوجَدَ الْفَسَادُ فِي بُيُوتِ الصَّلاحِ.

---

(٩) الخصائص٣/ ٢٨٤، ٢٤٩.

تلك الْمَصَادِرُ والْمَوَاطِنُ هِيَ ألْسِنَةُ بَعْضِ الْمُتَخَصِّصِين فِي عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حِينَ يُحاضِرُونَ الطُّلَّابَ فِي الْمَعَاهِدِ والْمَدَارِسِ والْجَامِعَاتِ، أَوْ حِينَ يُخَاطِبُون النَّاسَ فِي بَعْضِ الْمُنَاسَبَاتِ الْعَامَّةِ أو الْخَاصَّةِ، أَوْ حِينَ يَتَحدَّثُونَ إِلَيْهِم فِي بَعْضِ اللِّقَاءاتِ الإِذَاعِيَّةِ الْمَسْمُوعَةِ والْمَرْئِيَّةِ.

وهِيَ- أيْضًا- كِتَابَاتُهُم وكُتُبُهُمُ الْمُضْطَرِبَةُ مادَّةً، الضَّعِيفَةُ مُحْتَوًى، الْمَفْرُوضَةُ عَلَى بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فَرْضًا مِنَ السَّيِّدِ الْمَسْؤُولِ بحُكْمِ مَنْصِبِهِ ومَوْقِعِهِ مِن دُونِ اسْتِشَاراتٍ أو حَتَّى قَبُولِ مُعَارَضَاتٍ، ولَيْسَ مُرَاعاةً لحَالَةِ الطَّالِبِ الْمُسْتَفِيدِ، أو نُزُولًا على رَغْبَةِ الدَّارِسِ الْمُسْتَزِيدِ، كَمَا تَقُولُ الْجَوْدَةُ الَّتِي لا يَعْرِفُ الأَكْثَرُونَ مِنْهَا سِوَى اسْمِهَا والتَّغَنِّي بِهِ لَيْلًا ونَهَارًا.

ومِنْ أَدْنَى أُمُورِ الْجَوْدَةِ: أَخْذُ رَأْيِ الْفِئَةِ الْمُسْتَهْدَفَةِ (الطُّلاب) فِي الْكُتُبِ الَّتِي سَيَتِمُّ تَغْيِيرُهَا والْمَجِيءُ بَغَيْرِهَا، وفِي الْمُقَرَّراتِ الإِضَافِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا مِنْ خِلالِ مُتَابَعَتِهِم حَاجَةَ سُوقِ الْعَمَلِ؛ وذلك عِندَ الْقِيَامِ بأَيِّ تَطْوِيرٍ يَنَالُ الْخُطَّةَ الدِّرَاسِيَّةَ أو الْمُقَرَّرَاتِ ومَصَادِرَهَا.

فجَاءَتْ تِلكَ الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ عَلَى خِلافِ مُقْتَضَى الْجَوْدَةِ إِلَى الطُّلابِ بَغْتَةً، فَتَجَافَتْ عَن الْوَاقِعِ، وابْتَعَدَت عن الْمأْمُولِ، وَلَم تُنَاسِبْ عُقُولَهُمْ؛ فلَمْ تَرْوِ غَلِيلًا، ولَمْ تَصْلحْ بَدِيلًا.

فكَمْ مِن طالِبٍ وَافِدٍ أَو غَيْرِ وافِدٍ اسْتَخْرَجَ من الصَّفْحَةِ الْواحِدَةِ مِن تِلْكَ الْكُتُبِ أخْطَاءً، وتَسَاءَلَ مُتَأَسِّفًا: لِمَاذَا أَزَالُوا الكِتَابَ السَّالِمَ مِنَ الأخْطَاءِ، وفَرَضُوا عَلَيْنَا مُعَانَاةَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ؟ كأَنَّ حَالَهُ يَقُولُ: مَا جِئْنَا إِلَى هُنَا إلا لِدِرَاسَةِ التُّراثِ اللُّغَوِيِّ دِرَاسَةً وَاضِحَةً، ولِلْمُشَارَكَة فِي شَرَفِ الْمُحافَظَةِ عَلَيْهِ بتَدْرِيسِهِ لِغَيْرِنَا فِي بِلادِنَا، فيَعْتَزّ بِهِ أَهْلُونَا وأَوْلادُنَا وأَحْفَادُنَا، ويَقُومُونَ بِوَاجِبِهِم نَحْوَهُ رِوايَةً ودِرايَةً، ودِرَاسَةً وعِنَايَةً، فيكون لَهُمْ مِشْعَلَ هِدَايَةٍ، ولا يُوجَدُ كِتَابٌ أَوْضَحُ مِنَ ذَلِكَ التُّرَاثِ الأَوْضَحِ مَادَّةً وهَدَفًا وغَايَةً، أَلَا لَيْتَنَا وَجَدْنَا شُرَّاحًا بَارِعِينَ لَهُ!

وقَدْ عَكَسَ ذَلِك الْمَوْقِفُ وغَيْرُهُ صَورَتِي الذِّهْنِيَّةَ عن مَوْقِفِ الطَّالِبِ الْوَافِدِ وغَيْرِ الْوَافِدِ مِنَ دِرَاسَةِ التُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ بشَكْلٍ كَامِلٍ صُعُوبَةً وسُهُولَةً.

وكَمْ من طَالِبٍ وافِدٍ اشْتَكَى لِسَانَ أَسْتَاذِهِ الْمُتَكَلِّم بالعَامِّيَّةِ الَّتِي لا يَفْهَمُهَا، وما جَاءَ من بَلَدِهِ إلَّا ليَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الشَّرِيفَةَ سَمَاعًا مِنْ الأُسْتَاذِ، وقراءَةً فِي الْكِتَابِ؟

وكَمْ من طَالِبٍ وافِدٍ اشْتَكَى أَسْتَاذَهُ الَّذِي لا يَقْبَلُ النِّقَاشَ، ويَكْرَهُ الْمُحَاورَةَ، ويُجَرِّمُ السُّؤَالَ عَنْ غَيرِ الْمَفْهُومِ فِي الْمُحاضَرَةِ أو الْكِتَابِ أَوْ خَارِجِهما؟

وأَخْلُصُ مِن ذَلِكَ الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ إلَى تَقْرِيرِ أَنَّ ذَلِكَ الضَّعْفَ الْمُزْرِيَ بمَصَادِرِهِ ومَوَاطِنِهِ تُغَذِّيهِ - بإِيجَازٍ شَدِيدٍ- الْمَظَاهِرُ الآتِيَةُ:

١ - الْغِيَابُ عَنْ مُقْتَضَى الْوَاقِعِ التَّعْلِيمِيِّ وعَن تَلْبِيَةِ حَاجَاتِ الْمُسْتَفِيدِينَ فِي سُوقِ الْعَمَلِ عِندَ تَجْدِيدِ الْخُطَطِ الدِّرَاسِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ وإضَافَةِ الْمُقَرَّرَاتِ وتَحْدِيدِ الْمُحْتَوَياتِ وطَرْحِ الْمَعْلُوماتِ، فتِلْكَ الأَشْيَاءُ تُعَدُّ غالِبًا فِي عُجَالَةٍ؛ بِنَاءً علَى رَغْبَةِ السَّيِّدِ الْمَسْؤُول، الَّذِي يُرِيدُ أَن يظْهرَ للْمَلإِ أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلِيَّةِ التَّطْوِيرِ اللَّازِمَةِ للخُطَطِ، والْمُقَرَّراتِ فِي التَّعْلِيمِ الْعَالِي بِسُرْعَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ؛ تَفَاعُلًا مع صَيحَاتِ التَّجْدِيدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

والبَاعِثُ للدَّهَشِ أَنَّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ لا تَأْتِي اسْتِجَابَةً لحاجَاتِ سُوقِ الْعَمَلِ الْمُلِحَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ دائمًا؛ لأَنَّ مُعِدِّيهَا ومُؤَلِّفِيهَا الْعَجَالَى أَحْسَنُوا النَّقْلَ والْجَمْعَ والْحَشْوَ والاسْتِطْرادَ، ولم يَتَمَتَّعُوا بِجَوْدَةِ العَرْضِ والتَّخْطِيطِ، ولا بِحُسْنِ الشَّرْحِ والتَّطْبِيقِ، ولا بوُضُوحِ الْمَادَّة والْحِرْصِ عَلَى الإفَادَةِ وتَلْبِيَةِ الْحَاجَةِ، ولا بصِحَّةِ قِرَاءَةِ وَاقِعِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ، فضَاعَ فِي أَعْمَالِهِم هَدَفُ التَّجْدِيدِ والتَّيْسِيرِ، وكَانُوا أَحَقَّ شَيْءٍ بِالْوُقُوعِ فِي التَّبْدِيدِ والتَّعْسِيرِ.

فجَاءَ خِرِّيجُهُم غَيْرَ مُطَوَّرٍ بَعِيدًا عن حَاجَاتِ سُوقِ الْعَمَلِ بطَرِيقَةِ تَدْرِيسٍ تَقْلِيدِيَّةٍ، ووَسَائلَ غَيْرِ فَاعِلَةٍ، وزادٍ مُتَواضِعٍ لا يُؤَهِّلُهُ للْمُنَافسَةِ دَاخِلِيًّا ولا خَارِجِيًّا، فقَدْ كَانَ أَسِيرَ مُقَرَّراتٍ ثَابِتَةٍ غَيْرِ مُتَجَدِّدَةٍ، لَيْسَ فِيهَا مَا يُلَبِّي حَاجَاتِ الْمُسْتَفِيدِينَ؛ فقَلَّ مَن يَطْلُبُهُ في وَظَائفِهِ، أو يَحْمَدُهُ فِي تَخَصُّصِهِ...

٢- الدَّعْوَةُ الْمُلِحَّةُ مِن بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ إِلَى تَجْهِيزِ مَلَفَّاتِ الْحُصُولِ عَلَى الاعْتِمَادِ، وفِي عَمَلِيَّاتِ التَّجْهِيزِ لا يَتَحَمَّلُ مَشَقَّةَ ذَلِكَ إلا شَبَابُ الْبَاحِثِينَ بَدَنِيًّا وزَمَنِيًّا ومَالِيًّا وعَقْلِيًّا، وقَد تُقْطَفُ ثَمَرَةُ مَشَقَّتِهِمْ، لَكِنَّهَا لا شَيْءَ مع عَدَمِ اقْتِنَاعِ الْمُدِيرِينَ بِمُتَطَلَّبَاتِ الْجَودَةِ، ومَعَ عَدَمِ الْتِزَامِهِمْ بخُطَطِهَا الْمَوْضُوعَة، ومَعَ عَدَمِ اهْتِمَامِهِم بتَوْقِيتاتِها الْمَحْدُودَةِ.

ففي نهايَةِ هَذَا الْجُهْدِ الْمَبْذُولِ لَيْلًا ونَهَارًا لا تَسْتَطِيعُ تلك الْمُؤَسَّسَاتُ تَفْعِيلَ ما فِي الْمَلَفَّاتِ الْمُجَهَّزَةِ من عَالَمٍ مِثَالِيٍّ ومُجْتَمَعٍ فَاضِلٍ لَمْ تَأْلَفْهُ، فَلا هِيَ حَافَظَتْ على أَوْقَاتِ بَاحِثِيها النُّجَبَاءِ الَّتِي ضَاعَتْ فِي إِعْدَادِهَا؛ ليَسْتَغِلُّوها في دراسَاتِهِم اللُّغَوِيَّةِ وأَبْحَاثِهِم التَّخَصُّصِيَّةِ تجويدًا وتحقيقًا وتدقيقًا وإثراءً وقُوَّةً وتَجْدِيدًا وإِبْدَاعًا، ولا هِيَ اسْتَفَادَتْ مِن جُهُودِهِم الْمُخْلِصَةِ الَّتِي بَذَلُوها فِي وَضْعِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ والْخُطَطِ الْبَحْثِيَّةِ فِي مَجَالاتِ اللُّغَةِ، وهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى تَطْبِيقِ مُقْتَضَياتِهَا وتَفْعِيلِ خُطُواتِهَا وتَنْفِيذِ خُطَطِهَا؛ لتتبعها خُطَطٌ لُغَوِيَّةٌ أُخْرَى مَبْنِيَّةٌ عَلَيْهَا، فتَنطَلِق مَسِيرةُ الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ فِي مُؤَسَّساتِهِمْ عَلى هُدًى وبَصِيرةٍ، وَاضِعَةً لَبِنَةً إِثْرَ لَبِنَةٍ إِلى أنْ تَتَلَقَّاهَا الأَجْيَالُ اللَّاحِقَةُ، فتَقُومَ بواجِبِهَا نَحْوَهَا.

لكِنَّ بَعْضَ الإداراتِ بَائِسَةٌ لا تَعْرِفُ إِلَّا كُلّ تَجَاهُلٍ ونُكْرانٍ وتَزَيُّنٍ بِمَا لَيْسَ فِيهَا؛ فتَكْتَفِي بالْحُصُولِ على الاسْمِ، ولا تَحُضُّ عَلَى الاقْتِرابِ مِنْ الْفِعْلِ...

٣- تَوَقُّفُ مَسِيرَةِ الإِبْدَاعِ اللُّغَوِيِّ القَائِمِ على قِرَاءَةِ الْعُلَمَاءِ الوَاعِيَةِ لتُرَاثِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ بِمَا يَتناسَبُ وطبيعةَ عُقُولِ أبْنَائِهِ، وطَرْحِهِ بأُسْلُوبٍ سَهْلٍ مُنَاسِبٍ، لا بأُسْلُوبٍ صَعْبٍ نَاصِبٍ.

فَلا تُوجَدُ مُؤَسَّسةٌ مِنَ الْمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي عَصْرِنَا– فيما أعْلَمُ– أَخْذَتْ عَلَى عاتِقِهَا مُهِمَّةَ إِخْرَاجِ شَرْحٍ لِكِتابٍ مِن كُتُبِ التُّراثِ اللُّغَوِيِّ بِطَرِيقَةٍ عَصْرِيَّةٍ وَفْقَ مَنْهَجٍ مُحَدَّدٍ تُلْزِمُ بِهِ باحِثِيهَا الرَّاغِبِينَ فِي التَّرَقِّي من درجةٍ إلى درجةٍ، بَدَلًا من حَالَةِ عَدَمِ الانضِبَاطِ السَّائِدَةِ فِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، والْبُعْدِ عن التَّجدِيدِ الْوَاجِبِ فِي قِراءَةِ نُصُوصِ التُّراثِ اللُّغَوِيّ والتَّفَاعُلِ معَ الْمُسْتَجِدَّات تَفَاعُلًا بَنَّاءً.

٤- ضَعْفُ الْمُحْتَوَى الْعِلْمِيّ اللُّغَوِيِّ الْمُقَدَّمِ فِي بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ نَتِيجَةَ العَشْوَائِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ علَيْهَا عَمَلِيَّةُ التَّأْلِيفِ والإعْدَادِ، كَتَشْكِيلِ لِجَانٍ لا تُرَاعَى فِي أعْضَائِها الْكَفَاءَةُ والرُّسُوخُ، بل تُرَاعَى فِيهَا اعْتِبَارَاتٌ أُخْرَى مُؤْسِفَةٌ كُلَّ الأَسَفِ... ولا رَيْبَ أنَّ مَنْ فَقَدَ دِقَّةَ الْفَهْمِ لا يَسْتَطِيعُ الْإِفْهَام.

ولو كان للمَسْؤُولِ فِي عَالَمِنا الْعَرَبِيِّ كَشْفُ حِسَابٍ بَعْدَ خُرُوجِهِ من مَنْصِبِهِ ما أَقْدَمَ عَلَى الْعَبَثِ بِشَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِ الْمُؤَسَّسَةِ، وما ظَنَّ أَنَّهُ فِي تَرِكَةٍ وَرِثَهَا، يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ مَعَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ دُونِ رَقِيبٍ أَوْ حَسِيبٍ، بَلْ ما أَقْدَمَ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ أَهْلًا لَهَا أَصْلًا، ولَفَرَّ مِنْهَا فِرَارَهُ مِن الأَسَدِ، لَكِنَّهُ دَاءُ الْعَصْرِ، الَّذِي يَرَى الصَّالِحَ طَالِحًا يَسْتَحِقُّ التَّحْجِيم والتَّجْرِيم، ويَرَى الطَّالِحَ صَالِحًا يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيم والتَّكْرِيم.

٥- تقاعُسُ كثِيرٍ مِنَ الأَقْسَامِ اللُّغَوِيَّةِ فِي بَعْضِ الْجَامِعاتِ عَنْ عَقْدِ نَدَواتٍ تَثْقِيفِيَّةٍ بصفةٍ مُسْتَمِرَّةٍ مِنَ الأساتِذَةِ اللُّغَوِيِّينَ حَوْلَ قَضَايَا التُّراثِ اللُّغَوِيّ، وتَنَاوُلِ ما يَظْهَر على السَّاحةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الدَّاخِلِ أو الخَارِجِ بالدِّراسَةِ والنَّقْدِ، وهَذَا من شَأْنِهِ أن يُنَشِّطَ الْبَحْثَ اللُّغَوِيّ، ويَفْتَحَ آفَاقًا بَحْثِيَّةً جَدِيدَةً أَمَامَ الْبَاحِثِين والباحثاتِ فِي جميعِ الْمَرَاحِلِ البَحْثِيَّةِ. وما أَشَدَّ حِيرَةَ الباحِثِينَ اللُّغَوِيِّينَ والْبَاحِثَاتِ فِي زَمَانِنا!

٦- عَدَمُ تَفَاعُلِ كَثِيرٍ من الأَسَاتِذَةِ اللُّغَوِيِّينَ فِي بَعْضِ الْجَامِعاتِ مع الْمَذَاهِبِ الْحَدِيثَةِ والْمُسْتَجِدَّاتِ دِرَاسةً اسْتِكْشافِيَّةً، وتَأْصِيلًا عِلْمِيًّا، ونَقْدًا بَنَّاءً، وقَدْ نَتَجَ عن ذلك إجْبَارُهُم باحِثِيهِم على أَنْ يَبْحَثُوا فِي الْمَبْحُوثِ، وألَّا يَخْرُجُوا عن الْمَأْلُوفِ، وإِذَا جَاءَ إِلَيْهِم بَاحِثٌ نَبِيهٌ بِالْجَدِيدِ مَدْرُوسًا مَنْقُودًا مُؤَصَّلًا فِي تَحْكِيمٍ ما رَدُّوهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَؤُوه، وجَرَّمُوهُ قبلَ أَن يَعْرِفُوهُ، وحَكَمُوا عَلَيْهِ قبلَ أن يَتَصَوَّرُوه.

٧- الانْحِرَافُ عَنْ الْمَقْصِدِ السَّامِي الَّذِي انْطَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ الْفِكْرُ اللُّغَوِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ مُنذُ الْقِدَمِ، وعَنْ تَفْعِيلِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ، وهُوَ (مُقَاوَمَة الانْحِرَافِ اللُّغَوِيِّ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ العربيَّة بِشَتَّى الطُّرُقِ والْوَسَائِلِ الْمُمْكِنَةِ).

ولا رَيْبَ أنَّ الإِخْلالَ بهذا الْمَقْصِدِ السَّامِي وعَدَمَ الاعْتِنَاءِ بطُرُقِهِ، والتَّقَاعُسَ عَنْ تَحْسِينِ وَسَائِلِهِ وتَجْدِيدِهَا فِي كُلِّ عَصْرٍ تَجْدِيدًا مُناسِبًا- يُؤَثِّرُ تأثيرًا سَلْبيًّا عَلَى مَصْلَحَةِ الْوَطَنِ، وعَلَى لُغَةِ الْمُوَاطِنِ، وعَلَى مَلامِحِ الْهُوِيَّة فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيّ.

٨- تَعَمُّدُ تَجَاهُلِ الأساتِذَةِ الشَّبابِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْعَطَاءِ والْبَذْلِ فِي تَشْكِيلِ اللِّجَانِ الْعِلْمِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وحَصْرها فِي فِئَةٍ مُعَيَّنةٍ بأَعْمَارٍ مُحدَّدةٍ، قد يَكونُ أَكْثَرُهَا غَيرَ مُتَمَتِّعٍ باسْتِمْرَارِيَّةِ الْبَحْثِ، ولا بالْمُشَارَكَةِ فِي الْمُؤْتَمَراتِ والنَّدَواتِ، ولا بالتَّفَاعُلِ مع الْمُسْتَجِدَّاتِ، فيَئِدُ كُلَّ فِكْرَةٍ جديدةٍ مدروسةٍ مَا سَمِعَ بِهَا من قَبْلُ، ويَقْتُل رُوحَ التَّفَاعُلِ مع الْمُسْتَجِدَّاتِ فِي نُفُوسِ الْبَاحِثِينَ والبَاحِثَاتِ، فيَحْدُثُ شِبْهُ كَمَالِ انْقِطَاعٍ بَيْنَهم وبَيْن كُلِّ جديدٍ، ولا يَشْعُرُونَ بأَهَمِّيَّةِ مَا فَقَدُوه إلَّا حين يُخَالِطُونَ غَيْرَهُم، أو يُغَادِرُونَ مِصْرَهُم.

ولا رَيْبَ أنَّ تَجَاهُلَ دورِ الشَّبَابِ فِي جميعِ مَجَالاتِ الحَيَاةِ غَيْرُ محمودٍ قديمًا وحَدِيثًا، ولَهُ آثَارُهُ السَّيِّئَةُ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ عَشَّشَ فِيهِ وبَاضَ وفَرَّخَ.

*****

***

*

ثانيًا - الْحُلُولُ

قَامَ بَعْضُ الْمُخْلِصِينَ من أبناءِ الْعَرَبيَّةِ الَّذِينَ يَعرفُونَ خُصُوصِيَّاتِها، وأَنَّهَا لُغَـةٌ عَزِيـزَةٌ لَا تَلِـينُ لعَابِـثٍ مَغْرُورٍ، ولا تَجُودُ بكُنُوزِهَا إلا لمُوَفَّقٍ مَنْصُورٍ، ويُقَدّرونَ تراثَها الثَّرِيَّ الذي لا يَخْلَقُ عـلى كَثْـرَةِ الـرَّدّ؛ لارتِبَاطِ أَكْثَرِهِ بالذِّكْرِ الحكيمِ، ويَتَفاعَلُون مع الْمُسْتَجِدَّاتِ دراسةً واعِيَةً، ونقدًا بنَّـاءً، وتأصـيلًا علميًّـا لقضاياها من ذلك التراثِ الثريِّ، الذي اتَّسَعَتْ لها أَبْوَابُهُ، وما ضَاقَتْ عَنْهَا صَفَحَاتُهُ.

قَامَ هَؤُلاءِ بوَضْعِ حلولٍ فرديَّةٍ، أو تَقْـدِيمِ جُهُـودٍ خَاصَّـةٍ بِجِهَـةٍ مُعَيَّنـةٍ لمقاومـةِ الانْحِـرَافِ اللُّغَـوِيّ، والقضاءِ على حالةِ الضَّعْفِ السَّائدةِ، وصيانةِ الفِكْرِ اللُّغَوِيِّ وتقريبِهِ من طُلَّابِ الْعِلْمِ بِطُـرُقٍ مُنَاسِـبَةٍ، مُراعِينَ حَاجَةَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُونَ فيهِ، ومُتَطَلَّبَاتِ الْوَاقِعِ التَّعْلِيمِيّ فِي جَمِيعِ الْمَراحِلِ.

ومن تِلكَ الْحُلُولِ الْمَوْجُودَةِ على أَرْضِ الوَاقِعِ، وتَحْتاجُ إلى تَحْسِينٍ وتَقْوِيَةٍ وتَعْمِيمٍ ما يَأْتِي:

١- الْقِيَامُ بمُحاولاتٍ تَأْلِيفِيَّةٍ جَادَّةٍ لتَطْوِيرِ مَنَاهِجِ تَعْلِيمِ العَرَبيَّةِ للنَّاطِقِينَ بِهَا مِنْ ناحِيَةٍ، وللنَّاطِقِينَ بغَيْرِهَا من نَاحِيَةٍ أُخْرَى إعْدَادًا وإِخْرَاجًا وتَأْهِيلًا وتَدْرِيسًا فِي بَعْضِ الْمَعَاهِدِ الْعُلْيَا والْجَامِعَاتِ، على النَّحْوِ الذي يُناسِبُ كُلَّ فِئَةٍ من الْفِئَاتِ الْعُمُرِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْمَرَاحِلِ التَّعْلِيمِيَّةِ.

٢- تَقْدِيمُ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بطَرِيقَةٍ مَيْسُورَةٍ، وعِبَارَاتٍ مَفْهُومَةٍ، تُنَاسِبُ عُقُولَ أَبْنَاءِ هَذَا الْعَصْرِ، وتَأْخُذُ بِيَدِ مُحِبِّي اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى النُّطْقِ الْعَرَبِيِّ الصَّحِيحِ، والاسْتِعْمَالِ الْفَصِيحِ فِي سُهُولَةٍ ويُسْرٍ.

٣- إِقَامَةُ دَورَاتٍ تَدْرِيبِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ لرَفْعِ الْمُسْتَوَى اللُّغَوِيِّ والْمِهَنِيِّ لمُدَرِّسِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ والدُّعَاةِ والْوُعَّاظِ والْقُضَاةِ ورِجَالِ الإِعْلَامِ، وتَنْمِيَةِ مَهَارَاتِهِم اللُّغَوِيَّةِ، وتَحْسِينِ أَدَائِهِم، وجَعْلُ الْفِئَةِ الْمُسْتَهْدَفَةِ للتَّدْرِيبِ مِن دُوَلِ الْعَالَمِ أَجْمَع.

٤- الْحِرْصُ عَلَى اعْتِيَادِ التَّكَلُّمِ باللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفْقَ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ الْمَدْرُوسَةِ فِي بَعْضِ الْمَعَاهِدِ والْكُلِّيَاتِ والاجْتِمَاعَاتِ والنَّدَوَاتِ والْمُؤْتَمَرَاتِ.

وأُضِيفُ إِلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ اقْتِرَاحَ الوَسَائِلِ وطَرْحَ الْحُلُولِ الآتِيَةِ:

١- تَعْمِيمُ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ الْمُخْتَلِفَةِ لجَمِيعِ التَّخَصُّصَاتِ الْعِلْمِيَّةِ: الطِّبِّ، والْعُلُومِ، والرِّيَاضِيَّاتِ، والْفَلَكِ، والْهَنْدَسَةِ...للْحِفَاظِ عَلَى هُوِيَّةِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيّ والاعْتِزَازِ بِهَا، وتَوْرِيثُ ذَلِكَ للأَجْيَالِ اللَّاحِقَةِ.

٢- حِرْصُ الأُسَرِ الْعَرَبِيَّةِ على التَّكَلُّمِ فِي الْبُيُوتِ باللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفْقَ الْقَوَاعِدِ الْهَادِيَةِ؛ فإذا تَلَقَّاهَا النَّاشِئَةُ مِنْهُمْ تَلْقِينًا ومُحَاكَاةً سَهُلَتْ عليهم فِي الدِّرَاسَةِ والْمُمَارَسَةِ بَعْدَ ذَلِكَ دُونَ مُعَانَاةٍ.

٣- قِيَامُ الْعُلَمَاءِ النُّبَهَاءِ بالْوَاجِبِ عَلَيْهِم تجاه لُغَتِهِم الشَّرِيفةِ تَحَدُّثًا وكِتَابَةً ودِرَاسَةً وتَدْرِيسًا وتَأْلِيفًا وتَجْدِيدًا ومُتَابَعةً لِمَا يَظْهَرُ مِنْ مَذَاهِبَ حَدِيثَةٍ يَسْتَكْشِفُونَهَا ويَنْقُدُونَهَا؛ فيَأْخُذُونَ مِنْ كُلِّ جَدِيدٍ ما يَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ ومَعَ قَوَاعِدِها الثَّابِتَةِ، ويَطْرَحُونَ الْخَبِيثَ الرَّدِيءَ، والْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أَنَّى وَجَدَها اكْتَسَبَها، وكان أَحَقَّ النَّاسِ بها.

٤- تَخْصِيصُ كُلِّ كُلِّيَّةٍ مِنْ كُلِّيَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ والآدَابِ ودَارِ الْعُلُومِ فِي الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ مَكَانًا عَلَى الصَّفَحَاتِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهَا؛ لِنَشْرِ الخُطَطِ البَحْثِيَّةِ المَوْقُوتَةِ لِكُلِّ مُسْتَوًى من مُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وأن يَقُومَ عُلَمَاءُ كُلِّ مُسْتَوًى بتَفْسِيرِ أَهْدَافِ خُطَّتِهِم للبَاحِثِينَ فِي مَرَاحِلِ التَّخَصُّصِ والعَالِمِيَّةِ والتَّرَقِّي من دَرَجَةٍ إلى أُخْرَى، وتَوْضِيحِ مَجَالاتِ الْبَحْثِ فيها مُحَدَّدَةً فِي عَنَاصِرَ لا يَخْرُجُونَ عَنْهَا حَتَّى نِهَايَةِ الْخُطَّةِ زَمَنِيًّا وبَحْثِيًّا، وكذَلِكَ يَفْعَلُونَ فِي الْخُطَّةِ اللَّاحِقَةِ؛ لِيَخْرُجَ الْبَحْثُ اللُّغَوِيُّ الْمُعَاصِرُ مِنْ حَضِيضِ الْعَشْوائِيَّةِ وغِيَابِ الأَهْدَافِ والتَّقْلِيدِ إِلَى سَمَاءِ الانْضِبَاطِ وحُضُورِ الأَهْدَافِ والتَّجْدِيدِ.

٥- إنْشَاءُ قَنَوَاتٍ تليفزيونيَّةٍ لغويَّةٍ في كلِّ بلدٍ عربيٍّ، مُهِمَّتُها تَقْدِيمُ الْقَوَاعِدِ اللُّغَوِيَّةِ بطريقةٍ عصريَّةٍ، في كلِّ أَشْكَالِ التَّمْثِيلِ الْجَذَّابَةِ الْمُمْكِنَةِ حَدِيثًا، وتَنْبِيهُ النَّاسِ على الأَخْطَاءِ اللُّغَوِيَّةِ الشَّائِعَةِ نُطْقًا وكِتَابةً، مع بَيَانِ النُّطْقِ الْفَصِيحِ والرَّسْمِ الصَّحِيحِ لكُلِّ الْمُتَابِعِينَ صَوْتًا وصُورَةً فِي مَشَاهِدَ جَذَّابَةٍ.

٦- إنشاءُ مراصِدَ لُغَوِيَّةٍ على شَبَكَةِ المعلوماتِ الدوليةِ "الإنترنت" في كلِّ قُطْرٍ عربيٍّ، تَتَبَعُ الجَامِعَاتِ بل الكليات المتخصصة فيها، ويُختار لها الأَكْفَاء المَهَرة من أبناء العربية؛ لرَصْدِ الأخطاءِ اللغويَّةِ المستحدثةِ على ألسنةِ المسؤولين والإعلاميين والدعاة والقضاة والمعلمين، والناشئةِ في كتاباتِهم على المواقعِ العلميةِ الإلكترونيةِ.

وإثْرَ الرَّصْدِ يَتِمُّ التنبيهُ عليها مع بيانِ النُّطْقِ الفصيحِ والرسْمِ الصحيحِ بالصَّوْتِ والصُّورَةِ، وذلك على مثالِ ما يقومُ به مَرْصَدُ الأزهرِ العالميُّ للفتوى الإلكترونية في الجانب الشرعيِّ، من رَصْدِ الفتاوى الشاذة، والتنبيهِ عليها، مع بيان الفتوى الصحيحةِ للنَّاسِ.

ولا تزالُ فِكْرَةُ عَرْضِ هذَا الْمُقْتَرَحِ عَلَى فَضِيلَةِ الإمامِ الأكبرِ حَاضِرةً فِي ذِهْنِي، وقائِمةً فِي نَفْسِي، وقَدْ بُحْتُ بِهَا لبَعْضِ الأَحْبَابِ، فإذَا ما تَيَسَّرَ لِقَاءٌ قَرِيبٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى خَرَجَ هَذَا الاقْتِرَاحُ من دَائِرَةِ النِّقَاشِ إلى حالَةِ التَّنْفِيذِ؛ فالإِمَامُ إمَامٌ فِي قَرَارَاتِهِ وإنْجَازَاتِهِ، وفِي حِرْصِهِ عَلَى أنْ يَقُومَ الأَزْهَرُ الشَّرِيفُ بِرِسَالَتِهِ السَّامِيَةِ خَيْرَ قِيَامٍ نَحْوَ تُراثِ الأُمَّةِ الشَّرْعِيِّ واللُّغَوِيِّ.

واللَّهُ ﷻ الْمُوَفِّقُ والهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

*****

***

*

بحمد الله تم